لماذا حذَّرَنا الملك منه

الإرهاب الفكري يتربص بالأوطان والشعوب ويدمرها

خادم الحرمين الشريفين

•• كتب/ رئيس التحرير

هناك (٤) حقائق أساسية هامة ركز عليها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في خطابه الموجه إلى الإنسان في مشارق الأرض ومغاربها (بصورة عامة) وإلى الشعوب العربية والإسلامية (بصورة خاصة) هي:

● **أولا:** إن العالم مهدد باستمرارية الإرهاب.. وبتداعياته الأمنية والسياسية والاقتصادية والثقافية على سائر أمم الأرض في وقت أخذ فيه العالم يتراخى في التعاطي معه أو الاهتمام بأخطاره المتزايدة بصورة ملحوظة.

● **ثانيا:** إن حالة الصراع والصدام والمواجهة السائدة بين أمم الأرض وبصورة أكثر تحديدا بين الدول والشعوب العربية والإسلامية تقود مجتمعاتنا إلى مصير مجهول ومخيف بسبب «صراعات» وشعارات ما أنزل الله بها من سلطان حفل بها الأعداء والمتربصون.. لتبيح بذلك قتل الأبرياء وترويع الآمنين وهتك الحرمات مدعومة بإرهاب فكري أباح بنظرياته الحزبية ومطامعه السياسية شتى ذرائع التأويل والتدليس على الناس من خلال توجيه نصوص الشرع الحنيف والتطفيف فيها وفق مرادهم فمنها ما يغيب تارة ويحضر أخرى حسب المطلب والغاية وهذا الدخيل الفكري يتوشح .في تأويلاته وتحركاته .بعباءة الدين والتعلق بالله ودين الله منه براء (كما قال خادم الحرمين الشريفين).

● **ثالثاً:** إن هناك من انتحلوا صفة «الإصلاح» فكذبوا، واختطفوا عقول السذج فضلوا وأضلوا.. سواء كان ذلك عن طريق استغلال الدين.. والظهور بمظهر المنقذين.. والموجهين.. والمصلحين.. لأوطانهم ومجتمعاتهم.. في والوقت الذي ينبئنا تاريخهم .. وسجل حياتهم اليومي.. وممارساتهم في الداخل والخارج على أنهم دجالون.. ومستغلون.. ومتكسبون من وراء رفع راية الإصلاح.. فيما هم يعيثون في الأرض فسادا.. في القيم والمعاملات..

أو كان ذلك عن طريق من تمسحوا بمسوح السياسة.. وتدرعوا بقيم العدالة والديمقراطية وحقوق المواطنة.. وهم من أكثر الناس تعديا عليها.. وتجاوزا لأبسط قواعدها.. وروادعها.. كما تؤكد وتثبت ذلك وثائق ومعلومات أجهزة المعلومات الراصدة لهم في أكثر من دولة .. وداخل أكثر من هيئة ومنظمة وجهاز..

أو كان ذلك من خلال الظهور بمظهر الجلال والوقار والإرشاد وهم منشغلون . في حقيقة الأمر . بتوجيه طاقات الأمة نحو التأسيس لثقافة أممية.. تلغي من حسابها أسس وقواعد ومرتكزات المواطنة.. وتجير الولاء من الأوطان لحساب التكتل والجماعة ورموزها وبما يقترب من درجة «تأليه» لبني الإنسان.. ويخالف بذلك أسس وثوابت العقيدة الإسلامية القائمة أساسا على الولاء لله الخالق والانتماء للأوطان .. والانصياع لولي الأمر المبايع على الكتاب والسنة.. وليس على أساس «الطاعة العمياء ولأفكار الحزب أو التكتل أو الجماعة».

● **رابعا:** إن إراقة الدماء .. باتت قنطرة يعبرها الطغاة والقساة والمتسلطون لترسيخ قواعد حكمهم.. أو فرض تطلعاتهم وطموحاتهم على حساب الشعوب المغلوبة على أمرها.. كما يحدث في أكثر من موقع على خارطة العالمين العربي والإسلامي.. وتلك مأساة حقيقية لاسيما في ظل تواطؤ بعض دول العالم.. وصمت البعض الآخر.. وكذلك في ظل حسابات إقليمية ودولية خطيرة.. تكاد تنبئ عن خارطة طريق جديدة لمنطقتي الشرق الأوسط وجنوب وشرق آسيا وكذلك في أفريقيا..

●● هذه الحقائق الأربع.. التي حذر منها الملك أكثر من مرة.. وجاء ليلة عيد الفطر المبارك لينبه العالم إليها مجددا.. ويفتح أعيننا على طرق ووسائل وأساليب وآليات العمل على مواجهتها والتصدي لها.. تفرض علينا اليوم أن نراجع كثيرا من حساباتنا.. وننظم صفوفنا من جديد.. ونتنبه إلى ما حولنا.. ونهيئ أنفسنا للدخول في معركة مصير حتمية من أجل البقاء.. والاستمرار.. وضمان الاستقرار..

●● ولكن كيف يمكن لنا أن نحقق ذلك.. ونتجنب.. تلك الأخطار المدمرة الداهمة لنا؟!

●● يمكن لنا ذلك.. كما أوضح الملك بالتنبه إلى الأمور التالية:

(١) إن الفكر المنحرف الذي أسس لشرخه العميق في خاصرة أمة الإسلام.. أشد على أمتنا خطرا وأعمق فتكا من حراب عدونا المتربص علنا بنا.. وبالتالي فإن علينا أن نطهر عقولنا.. ونفوسنا.. ومشاعرنا.. وبالذات عقول ونفوس ومشاعر شبابنا الصغار من تأثيراته الخطرة حتى لا يقعوا فريسة أفكارهم المسمومة.. وطروحاتهم البراقة.. فيستمروا في الانصياع وراءهم وهم يحسبون أنهم دعاة خير.. ومصادر إصلاح.. بينما هم ينفثون عقدهم.. وتراكماتهم.. في الأذهان مأخوذين بعوامل البروز والشهرة والدجل اليومي عبر جميع الوسائط في كل الأوطان وعبر كل الساحات والقنوات والمؤثرات.. وليس من سبيل إلى ذلك إلا بكشف الأوراق ونشر المعلومات والحقائق الصحيحة عنهم أمام الأمة.. وحتى لا يتمادوا أكثر في استغفال الشعوب والمجتمعات..

(٢) إننا ومع هذا الواقع الأليم الذي تعيشه أمتانا العربية والإسلامية مطالبون (كما قال الملك) بالوقوف وقفة حازمة مع النفس (أولا) لإصلاح شأن الأمة الذي يبدأ من إصلاح الذات والاتفاق على كلمة سواء.. والتصدي بكل عزم وحزم لدعاة الفتنة والضلال والانحراف الذين يسعون لتشويه سمعة الإسلام.. سواء كان هؤلاء من داخل أوطاننا ومجتمعاتنا أو كانوا من خارجها.. وسواء كانوا أفرادا أو جماعات أو منظمات.. أو دولا تتربص بنا وتستخدم أدواتها من داخل أوطاننا.. وتوجه سهامها إلينا من كل الاتجاهات، وبالتالي فإن علينا أن نعرف.. من هم؟!.. وكيف يفكرون..؟! أو لحساب من.. وماذا يعملون..؟! وكيف نسقط دعاواهم.. وذلك بتعريتهم.. وكشف عوراتهم.. وقطع دابر تأثيرهم في مجتمعاتنا.. وإحباط جهودهم للاستيلاء على عقولنا.. أو السيطرة علينا.. أو التعدي على مقدراتنا..

(٣) إن هؤلاء المضللين.. والأفاكين.. يعتبرون أدوات للإرهاب ومعول فساده (كما قال الملك) لمحاولة هدم قيم الإسلام الرفيعة ومعانيه الجليلة.. حتى وإن رفعوا رايات الإصلاح.. والتدين.. وادعوا الحرص على نشر العدالة.. وحماية حقوق الإنسان.. ولذلك فإن حربنا معهم تبدأ وتنتهي.. بنشر قيم الإسلام الصحيحة.. وإشاعة ثقافة التسامح.. ونبذ كل عوامل التفرقة والتمييز ونشر العدالة والمساواة في الأرض.. للقضاء على مسببات الشقاق والفتنة والانقسام الذي أصبح صفة غالبة لأكثر مجتمعاتنا مع كل أسف..

فتشوا في أوطانكم.. وسوف تجدون أن توجيه نصوص الشرع الحنيف وفق مراد الفكر الإرهابي.. سبب الدمار الشامل

هناك من انتحلوا الإصلاح فكذبوا واختطفوا عقول السذج فضلّوا وأضلّوا.. وعلينا أن نعمل على تعريتهم

الأدوات الداخلية أشد فتكا بالأوطان من خطر الأعداء.. واستئصالها يفتح عقول الأجيال الجديدة على الحقيقة

المجتمعات العربية والإسلامية واقعة تحت تأثير دجل بعض الساسة.. وأضاليل حفنة من الدعويين.. وعلينا أن نحذرهم

إلغاء حقوق المواطنة لحساب التكتل أو الجماعة يفتت المجتمعات العربية والإسلامية.. ويقضي على روح التوحد فيها

لا شيء يبرر الاقتتال وسفك الدماء.. ولا سبيل إلى مواجهة الانحرافات إلا بالعودة الصادقة إلى الله ثم إلى الحرص على الأوطان

●● وحتى يتحقق ذلك وصولا إلى «التوحد» المنشود فإن علينا أن نخاف الله في أنفسنا.. وعلى أوطاننا.. وأن نغلب مصالحها العليا.. ونتغاضى عن القليل من مصالحنا وحقوقنا الذاتية وننصهر في بوتقة الأوطان.. ونعيش حياتنا في ظل ركائزنا الأساسية.. ولا نعطي فرصة لحاقد أو طامح.. أو موتور أن يدس أنفه في صفوفنا.. وأن يفتت روابطنا.. ويضعنا في حالة مواجهة مع بعضنا البعض.. لأن النتيجة التي سيقودنا هؤلاء إليها هي نفس الواقع المحزن والمؤلم الذي تعيشه أوطان انهارت قبلنا بفعل الدسائس وأسباب الفرقة.. وبذر بذور الفتنة بين أبنائها وتزيين الاحتراب والاقتتال لها.. وضربها ببعضها البعض..

***

●● لكل ذلك.. فإن هذا الصوت المؤمن.. والقوي.. والحكيم عندما ينطلق من أقدس بقاع الأرض وأطهرها إلى الإنسانية جمعاء.. فإنه لابد أن يُسمع بنفس القوة.. ولابد أن يجد له صدى في نفوسنا.. ولا بد أن يفتح أعيننا على تلك الحقائق الخطيرة التي تحيط بنا.. وتجعل دولنا وشعوبنا غارقة في دوامة لا نهاية لها..

●● ذلك أن «الإرهاب الفكري» الذي عراه الملك وحذر منه ونبه إلى خطورته أشد وأعظم فتكا بالأمم من أي نوع آخر من أنواع الإرهاب.. لأنه يسمم كل الوطن الذي يصاب به.. ولا يستثني أحدا فيه.. لا سيما عندما ينجح في إثارة الشكوك بين أبناء الوطن الواحد.. الشكوك في عقائدهم.. وفي انتماءاتهم.. وفي ثقتهم بمستقبل أوطانهم..

●● وتلك ولا شك مسؤولية مشتركة تقع على كاهلنا جميعا.. مواطنين.. ومؤسسات علمية.. وكوادر أمنية.. وعلماء مستنيرين.. ومثقفين.. وإعلاميين وتربويين وحقوقيين.. وعمالا.. وموظفين.. رجالا ونساء.. شيوخا.. وشبابا.. حتى نحصن أوطاننا.. ولا يأخذنا تيار الجهل بهؤلاء على غرة.. وحتى لا نقع فرائس سهلة أمام ما يروج.. ويتردد من شائعات.. ومعلومات.. وأفكار ضارة عبر مختلف الوسائل.. ونحن سادرون في الحياة اليومية الاستهلاكية القاتلة.

أكدوا على أهمية الحد من انتشار التشدد والفكر الإقصائي .. شرعيون وأكاديميون لـ الأسبوعية:

اجتثاث الإرهاب من جذوره مسؤولية جماعية تقتضي رؤية شمولية

طالب بن محفوظ «جدة»

أكد عدد من العلماء والشرعيين على أهمية الحد من انتشار التشدد والفكر الإقصائي المتطرف، والحد من تغلله في عقول الناشئة، محددين آلية التعامل الفكري مع الإرهاب ومكافحته والقضاء عليه واجتثاثه من جذوره، وتفعيل دور مكافحة الإرهاب من خلال عمل مؤسسي مشترك؛ مثل المركز العالمي لمكافحة الإرهاب الذي تعتزم المملكة إنشاءه، مشيرا إلى أن «الأمن الفكري» يحفظ العقول من المؤثرات الفكرية والثقافية المنحرفة وحماية الأمن والمجتمع من الانحراف الفكري.

جاء ذلك عقب كلمة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز بمناسبة عيد الفطر، التي بين فيها خطورة الإرهاب والفكر المنحرف، وأنه أشد خطرا وأعمق فتكا على الأمة من حراب عدوها المتربص علنا بها، والوقوف وقفة حازمة مع النفس أولا لإصلاح شأن الأمة، داعيا إلى تفعيل المركز الدولي لمكافحة الإرهاب، معلنا تبرع المملكة بمائة مليون دولار لدعم المركز.

إلى ذلك، أكد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي على أهمية تضافر وسائل الإعلام في التصدي للأفكار المنحرفة ومفاهيمها الخاطئة ومنطلقاتها الشاذة، داعيا إلى ميثاق يشارك في وضعه العلماء ورجال الإعلام يهدف إلى التعريف بأحكام الإسلام بعيدا عن الأهواء وتأصيل صلة الإنسان بربه وإحسان علاقته الناس والسعي في منفعتهم، مشيرا إلى أن التصدي لثقافة الغلو والانحراف والإرهاب من المسؤوليات الجماعية؛ لأن الشذوذ الفكري يؤدي إلى الخروج عن الجماعة وعصيان ولي الأمر.

د. عبدالله التركي

د. صالح بن حميد

د. صالح السدلان

د. عبدالله المصلح

د. حسن سفر

وأكد الدكتور التركي أن الخلل في فهم بعض النصوص الشرعية ومقاصدها مثل: الجهاد والولاء والبراء والأخذ بالفتاوى الشاذة المضللة من أهم أسباب ظهور فئات غالية في الدين عمدت إلى تفريق الأمة في دينها.

وشدد الدكتور التركي على أهمية إظهار رسالة الإسلام التي هي أمن وسلام وتواصل وتعاون بين الناس على البر والتقوى وبعد عن الظلم والعدوان، وإبراز أن رسالة الإسلام توجب العدل بين الناس والإحسان إليهم وتمنع البغي عليهم، وتعريف الأجيال المسلمة بمبادئ اليسر والتسامح في الإسلام، وتحذيرهم من خطر الانحراف عنها.

نشر الوعي

ويؤكد أستاذ الفقه في قسم الدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الدكتور صالح بن غانم السدلان أن المعالجات التأصيلية لقضايا المنهج القويم في الاعتقاد والفكر والفقه والآداب والسلوك لم تعد نوافل الجهود أو هوامش الاهتمامات، بل أضحت مطلبا ضروريا ملحا، وحاجة مصيرية لازمة لتوجيه المسيرة وتقويم الانحراف عن النهج المستقيم.

ولتحقيق التحصين الثقافي ضد الغزو الفكر، طالب الدكتور السدلان بوجوب الاهتمام ببناء الفرد المسلم على أسس عقدية إيمانية، ونشر الوعي الديني والثقافة الشرعية، مطالبا العلماء ببذل الجهد لترشيد مسيرة المسلم بتحصينه بالفكر الإسلامي الصحيح وحمايته من الأفكار الهدامة وتأصيل معاني الخير في نفسه ليكون عنصرا بناء لا تخريب ولا تدمير ولا غلو.

دين الوسطية

وبين الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة الدكتور عبدالله بن عبدالعزيز المصلح أن الإسلام هو دين الاعتدال والوسطية، والذي قال الله تعالى فيه: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا)، وأن شعار هذا الدين هو الرحمة (وما أرسلناك إلا رحمة للعاملين)، ويقول تعالى: (يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)، مشيرا إلى أن هذه النصوص وغيرها في كتاب الله وأحاديث المصطفى . صلى لله عليه وسلم . تدل على الاعتدال والوسطية، ولا بد للمسلمين من أن يتمسكوا ويعملوا بها لأن الدين الإسلامي دين الوسطية ودين الرحمة ودين الاعتدال.

حفظ العقول

من جانبه، دعا المستشار في الديوان الملكي وإمام وخطيب المسجد الحرام الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد إلى نظرة شمولية لمواجهة مشاكل التطرف والغلو والإرهاب، مشيرا إلى أن البون واسع بين الرؤية الشمولية وبين اعتماد حلول عاجلة التي هي أشبه بالمسكنات الآنية التي ستضاعف ظاهرة الإرهاب وتزيد من شراستها وتغلغلها.

وتطرق الدكتور ابن حميد إلى الأمن الفكري، مشيرا إلى أن مفهومه يتمثل في حفظ العقول من المؤثرات الفكرية والثقافية المنحرفة، وحماية الأمن والمجتمع من الانحراف السلوكي والخلقي، والوقوف أمام من يريد زعزعة ثوابت الدين والعبث بمقدرات الوطن وقيمه الفاضلة وعاداته الإسلامية، حيث يشمل كافة جوانب الإصلاح الاجتماعي والخلقي والتربوي.

وأكد الدكتور ابن حميد أن الحاجة إلى الأمن حاجة نفسية جوهرها السعي المستمر للمحافظة على الظروف التي تضمن إشباع الحاجات البيولوجية «الحيوية» والسيكولوجية «النفسية».

رسالة نبوية

وأوضح أستاذ السياسة الشرعية والأنظمة المقارنة بجامعة الملك عبدالعزيز عضو مجمع الفقه الإسلامي الدولي الدكتور حسن محمد سفر أن مبادئ وقواعد الدين الإسلامي، سواء للمجتمع أو العالم، قائمة على قوله ـ سبحانه وتعالى: (وجعلناكم أمة وسطا)، وعلى قوله تعالى: (وقولوا للناس حسنا)، فالواجب على العلماء وخصوصا علماء الشريعة السير على منهج النبي . صلى الله عليه وسلم . في تعامله مع الرعية والمسلمين الذين رباهم على منهج الوسطية، وفي هذا تآزر بين القيادة وعلماء الدين في توجيه المجتمع وإيصال الرسالة النبوية في حسن التعامل البعيدة عن الغلو والتطرف والتشدد، بل تكون انفتاحا والوصول إلى تلاحم المجتمع.